الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

**محمد سيد حاج**

رحمه الله

خطبة جمعة

# حقوق الطريق عنوان الأمة

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من خير أمة أُخرجت في الأنام، تأمر بالمعروف وتنهى عن الآثام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلّام، نوّرنا بالشرائع والأحكام، وفضّلنا على سائر الأمم والأنام، بشريعة الإسلام. أحمده سبحانه على فضله الخاص والعام، وأصلي وأسلم على القدوة والإمام، خير من صلى وزكى وجاهد وصام وقام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام.

عباد الله، إن شرائع الإسلام استوعبت شتى جوانب الحياة وشؤونها، فجاءت فيها بكل أمر رشيد وسديد، وإن أمة الإسلام هي الأمة الخاتمة، فأكرمها الله عز وجل بالشرعة الخاتمة، وبالكتاب الخالد الخاتم، وبالسنن والشرائع التي تكفي لقيادة الناس في كل زمان ومكان.

وأما وأن أمة يُراد ويُناط بها أن تكون صالحة رائدة قائدة في جميع شؤون الحياة للبشرية، وأن تقدم القدوة والنموذج والمثال للعالم، لهي أمة جديرة بأن يكون كتابها، وأن تكون قيمها، وأن تكون أخلاقها مميزة، وهذا هو الحاصل، غير أن الكتاب مميز والأمة غير مميزة.

غير أن السنن والشرائع والأحكام والحكم والأسرار بديعة، تتناول توجيهات الشريعة الإسلامية، وتتدخل في دقيق الأمور وفي جليل الأمور، وتتدخل في قضايا الأفراد وفي قضايا مجموع الأمة، لأجل أن تأتي بأمة تقدم للناس. لكن الخلل في الأمة الإسلامية: خالفت شرعها وخالفت دينها وخالفت أحكام إسلامها، فهي لا تأخذ

من الأحكام والإسلام إلا الشعائر التعبدية المحضة التي تشبع رغبة المسلم ليحس أنه مسلم فقط: يصوم رمضان ويتبعه بست من شوال بعد ذلك، يحج إن استطاع، ويكثر عدد العمّار والمعتمرين في كل عام، والعالم الإسلامي يعج بهم، وقامت وزارات للأوقاف والإرشاد وهيئات للحج والعمرة ووكالات للسفر والسياحة من أجل أن يذهب الناس والمعتمرون إلى بيت الله الحرام، وهذا طيب. ثم هي أمة تصلي وتكتظ المساجد بالمصلين، ولكن أثر هذا في السلوك العام، في الشارع العام، في الطريق العام، في حياة الناس العامة، في دواوين الدولة، في دوائر الحكم، في خلال الممارسة الراشدة للحياة، في النزاهة، في العفة، في سلامة اليد، في البعد عن الرشوة، في البعد عن السرقة واختلاسات المال العام، في التعامل الراقي في الطرقات والشوارع مع الناس، في الأدب الجم، في السلوك الرفيع: ذلك قد يوجد في بلاد الغرب وفي بلاد الكفار أكثر من وجوده في بلاد المسلمين.

وليس السبب أن دينهم أفضل، هم الذين أخذوا من ديننا ما يصلحهم وتركوا بقية الأشياء، وأخذنا من حضارتهم النتن والقبيح: الرقص والغناء، الكرة والتشجيع، تشجيع الكرة وآلات الطرب والتمايل والرقص والزي الفاضح وتصفيف الشعر، وإلى غير ذلك من الأمور الساقطة. فأخذوا أفضل ما عندنا وأخذنا أسوأ ما عندهم، وبالتالي اضطرب حال الأمة أيما اضطراب.

إن الشارع العام هو عنوان التحضر الحقيقي لأمة من الأمم. إذا أردت أن تحكم على أمة من الأمم فعامل الناس في الطرقات، من خلال كلمات المجاملة والسلام والتحية والتعامل والإيثار واحترام النظام، والوقوف في الصف دون أن يتجاوز، ورفض الواسطة، وأن تأخذ حقك بكفاءتك وبشهاداتك دون أن تأتي بتزكية من أحد، وأن يتساوى الناس أمام القانون، أن يتساوى الناس في هذه المجالات. هذا ضعيف في حياة الناس، وبالتالي يمكن أن يُحكم على أمة الإسلام، لا على شريعة الإسلام، بأنها أمة متخلفة في مجالات الحياة.

القليل من الناس هو الذي يعمل، تجد الأسرة الواحدة تعتمد على مغترب واحد يغترب السنين والبقية عطالة، إخوانه وأخواته وكلهم عالة عليه، الذي يعمل واحد. تجد الناس يحفرون الطريق لأن الماء تفجّر، وتأتي المحلية وتأتي الجهات المسؤولة، ويقف الشارع متعطلًا حتى يدخل الناس عبر الأحياء وفي الأزقة وفي الطرقات المختلفة شهورًا وشهورًا، والأمر لا يحتاج إصلاحه إلى ساعات.

أين الخلل في الأمة؟ أفي كتابها الفريد؟ أفي سنتها الطاهرة؟ والإسلام جعل محور التغيير وأساس النهضة ومنطلق الإصلاح والتنمية كل ذلك على الإنسان، وركّز في الإنسان على أخلاقه، على نزاهته، على سلامة ضميره، على نقاء صدره، على حسن معرفته، على احترامه للآخرين في الحقوق وفي الواجبات.

هذي مقدمة طويلة لأتحدث عن جانب واحد من جوانب عظمة الإسلام الذي تتجلى فيه أحكام الإسلام وآداب الإسلام في قضية واحدة بسيطة صغيرة، ولكنها في الحقيقة كبيرة لأنها تدل على أنموذج الإنسان، فالبلد المعين تدل على أنموذج الناس، وهم يتعاملون على رقيهم، وهم يخلعون نعالهم ويلبسونها بطريقة معينة مهذبة. الإسلام جاء بالأحكام الراقية، كما سوف نعرف بعد قليل. إن من مظاهر العظمة في هذا الدين، الذي تتجلى فيه عظمة الإسلام واستبحاره في شؤون الحياة وتنظيم أمور المجتمع وسياسة الإنسان وقيادة البشرية، وإلى غير ذلك من المعاني الراقية الجليلة: حق الطريق في الإسلام.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾. في الطريق العام حق المشي عنوان للمسلم، إذا مشى مشى بصفة معينة قرآنية: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، بغير تصنع ولا تكلف. أسوتنا وقدوتنا وحبيبنا وقائدنا ومعلمنا وأستاذنا الأول يمشي صلى الله عليه وسلم، كان عليه الصلاة والسلام يمشي يتكفأ تكفؤًا، يمشي بسرعة، ولكنها ليست سرعة وخفة الجاهلين، ولا يمشي مشية المتكبرين، إنه يمشي بتوازن. وإن هذا المشي يدل على شخصية متزنة، مطمئنة ساكنة واثقة في نفسها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾. هذه الممارسات مرفوضة في إسلامنا. وبالتالي ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، وعباد الرحمن الذين يمشون، وهم صفوة البشر، مشيتهم على الأرض يمشون بأدب وباحترام، لأن الطريق له آدابه وله أحكامه وله توجيهاته. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه: ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾. لا يجهلون، ولا يقولون كما قال الجاهلون: ونشرب الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينًا، بغاة ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمين، ونجهل فوق جهل الجاهلين، إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ تخر له الجبابرة ساجدينا.

الإسلام لم يأتِ بهذه النزعة العنصرية ولا بهذه الجاهلية الرعناء التي تحتقر وتهضم حقوق الآخرين. ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، هونًا، الهُوَيني، يمشون الهُوَيني، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى أسرع إسراعًا في سكينة وفي طمأنينة، دالٌّ على الجدية.

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، فيما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والجلوس في الطرقات». قالوا: ما لنا بدٌّ من مجالسنا. قال: «فإن كان لا بد لكم من المجلس فأعطوا الطريق حقه». الطريق العام هذا له حقوق. قالوا: وما حق الطريق؟ قال عليه الصلاة والسلام: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». مما لا شك فيه وهذا يدل على رقي أحكام الإسلام: الجلوس في الطرقات لا يُحبَّذ، ومن جلس فليجلس بطريقة إيجابية.

وإنك لترى مظاهر الخلل في الطرقات، وأول ذلك الشباب الذين يجلسون أمام البقالة وأمام أماكن الاتصالات وأمام البنشر، لأن الذي يبيع في البقالة في سنهم، فجاؤوا واجتمعوا أمامه. وللأسف الشديد هذا يحجّم حرية الآخرين، المرأة التي تريد أن تشتري ربما تتراجع، وإذا اشترت ربما اشترت بمقدار خوف أن ينظر الناس إليها. لكن الناس يشيل كيسين بيخاف من الناس، إما من نظراتهم، وإما من إشاراتهم، وإما من تعليقاتهم. التهذيب من الدين، الأخلاق من الدين، الأدب العالي والسلوك الراقي في الشارع العام من الدين. وبعضهم ينظر إلى النساء كأنه يترقب وكأنه يترصد.

الخلق الأول في الطريق: أن تمشي في الطريق باتزان، وأن تكون شخصيتك متزنة، وأن تكون مؤدبًا في الشارع العام. ما تتلفت، خليك محترم. ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾، غض الصوت وخفضه يدل على شخصية متزنة محترمة واثقة في نفسها، وإن الذي يرفع صوته في الطريق العام بغير حاجة إما سيئ الأدب وإما فاقد الحجة.

يقهقهوا في الشارع، يضحكوا بصوت عالٍ ويعلقوا تعليقات يسمعها الجيران. والله في بعض الأحيان حدثني بعضهم بأن بعض الشباب يجلس في هذا الحي في ميدان أو تحت عمود بتاع كهربا أو في مصطبة، يتونسون حتى الواحدة فجرًا، يضحكون بأعلى الأصوات، وربما بعضهم يغني وبعضهم يصفق. هل هذا سلوك مؤمن وطريقة مسلم في طريق عام؟

تخيل، أنت لو مشيت أوروبا أول حاجة الشارع نظيف.

من جلس في مجلس عام أو كان في طريق عام عليه أن يتعلم غض البصر. ولكن من أسوأ ما في الطرقات الصور. يا أخي هذا شارع عام، من حقي أن أحافظ على ديني. والله أنا ما أعرف السودانيين دول حصلوا شنو؟ في واحد قال كلمة أرجو أنها ما تكون صحيحة، قال السوداني: قبل عشرين عام أجمل شيء تركته في السودان الإنسان، ورجعت بعد هذه السنين فوجدت أكثر شيء تغير الإنسان.

الحجاب سموه حجابًا لأنه يحجب، يحجب يعني يمنع نظر الرجل إلى المرأة. غض البصر دلالة على سلامة المجتمع وعفته ونقائه. قلنا: أول شيء ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾، يغضون أصواتهم في الطرقات، يغضون أبصارهم، غض البصر وكف الأذى.

روى الإمام مسلم في الصحيح، قال عليه الصلاة والسلام: «إنه كان فيمن كان قبلكم رجل وجد شجرة تؤذي الناس في الطريق، فقطعها فأدخله الله الجنة». وفي رواية: «إماطة الأذى عن الطريق صدقة». إذًا من أماط الأذى عن الطريق ثوابه الجنة.

وعند البخاري في الأدب المفرد قال عليه الصلاة والسلام: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإماطتك الأذى عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة». حتى عدّد عليه الصلاة والسلام ألوانًا من الصدقات: «وإرشادك الرجل في أرض الضلال»، يعني ضل الطريق وتاه وأرشدته، «لك صدقة». قيم، قيم جدًّا، والله حق لنا أن نفاخر بها، وحق لنا أن نعلو بها على أوروبا وأمريكا والعالم والدنيا كلها، لأنه قال: «وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة». كل ذلك عدّه النبي عليه الصلاة والسلام من الصدقات.

قال أبو برزة الأسلمي: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن خير أفعله، وعن عمل أنتفع به. قال: «اعزل الشر عن طريق المسلمين».

تخيل، الناس يكبّوا موية الحمام في الشارع. الشوارع كلها محفّرة، تخش شارع، تخش منطقة، الشوارع تلقاها كلها محفّرة. يا أخي معقول؟ شوارع مسلمين؟ أقول بأن هذا الموضوع قلّ أن يُقال على المنابر مع أهميته، لأنه صغير لكنه يدل على رقي، ويدل على وعي في الأمة.

«اعزل الشر عن طريق المسلمين». فإذا كان من عزل الشر له أجر، فكيف بمن تعمد وضع الأذى؟ كيف بمن تعمد وضع الأذى؟ الأذى لا يوضع في طريق الناس. قال عليه الصلاة والسلام: «من وضع الأذى في طريق المسلمين فقد استوجب لعنتهم». هذا أدب في الطريق، وضع الأذى. وأسوأ الأذى الأذى المعنوي، والإفساد.

بت وولد ماشيين مع بعض، عادي جدًا، ماسكها من يدها، عادي خالص. هل الزوج بيجوز له يمسك مرته في الشارع؟ خلق من الأخلاق؟ مرتك حلالك. لكن في الشارع حلال يعني؟ مرتك بتمسكها بالشارع؟ يا أخي ما في ذوق؟ كيف تستفز الناس؟ والله أخشى أن يأتي علينا زمان الفواحش تكون في الطريق العام. أخشى أن يأتي علينا زمان مثل هذا إذا لم ننكر المنكر.

مرتك ما تعرضها للريبة، ما تعرضها للتهم، ما تعرض نفسك، «فقد استبرأ لدينه وعرضه». قل لها: يا بنتي احتشمي، يا بنتي البسي كويس. ده كلام جميل، وبعبارة طيبة. لو أن كل مسلم كان إيجابيًا، ولم نتقوقع في سلبيتنا، لكان أمرنا أفضل وأجمل مما يكون. إذًا كيف برجل يضع الأذى في طريق المسلمين العام؟ عادي جدًا في الشارع ترمي في الشارع، للأسف الشديد.

النهضة تبدأ من الإنسان، النهضة تبدأ بإصلاح النفس، ولا نهضة إلا بإصلاح أنفسنا، وأن نأخذ بديننا أخذًا جادًّا. أسأل الله تعالى أن يتقبل منا وإياكم أجمعين، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وقال عليه الصلاة والسلام: «كف الأذى، ورد السلام». السلام له فعله في إزالة الأحن، وإشاعة المحبة، ونشر الألفة، وتطهير القلوب. «ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

وإنك أحيانًا قد تسلم على بعض لأنك لا تعرفهم فلا يردون عليك السلام، يستغرب، يقول: أنا بعرفك؟ شفتك وين؟ السلام ابتداءً وردًّا: تبتدئ وترد، هذه علامة تحضر. وميزاننا للتحضر ليس أوروبا، إنما قول النبي صلى الله عليه وسلم. ولكني أقارن بين مجتمعات في أوروبا ومجتمعات المسلمين، فأجد أن بعض الناس في

أوروبا لم يأتِ بهذا من عنده، إنما أخذ هذا من نبينا، أو توصل لهذا عن طريق التجربة، فوجد أن هذا أفضل ما وصل إليه العقل والنتاج البشري.

وقال عليه الصلاة والسلام: «وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر». هذه عبارة جامعة لكل خير. تأمل من يجلسون أمام البيوت، أمام البقالات، في تجمعات. وأسوأ من ذلك أن تكون هذه المجالس مرتعًا خصبًا للتعليقات والهمز واللمز والنظرات والإشارات، وأحيانًا بعض الأقوال النابية الرديئة المسقطة للمروءة المذهبة للحياء القاتلة للدين في النساء، وللغيبة والكلام في الناس، مجالس ما فيها فائدة.

من جلس مجلسًا ولم يذكر اسم الله، والحديث عند أبي داود والترمذي وصححه الألباني: «أيما قوم جلسوا مجلسًا ولم يذكروا الله فيه إلا كقوم جلسوا على جيفة حمار». أن تجلس مجلسًا تعين فيه المحتاج، وتساعد فيه المسكين، وتغيث فيه الملهوف، وتغض فيه البصر. إخواني، غض البصر هذا في الشوارع مهم جدًا، وخاصة الناس اللي قاعدين في محل واحد. يا أخي هذي قيم، قيم عجيبة جدًّا جدًّا.

نختم بأدب: كان من هديه عليه الصلاة والسلام أنه لا يقصد المزاحمة ولا يسيء الممازحة، لما يمازح لا يسيء.

آداب مهمة جدًا حتى في أثناء سيرنا في هذا الطريق، وهذا عنوان حضارتنا. يكفينا لو أننا أخذنا بأحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم التي فيها كل خير.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئ الأخلاق، فإنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت. اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها يا رب العالمين. اللهم إنا نعوذ بك من الشقاق والنفاق وسيئ الأخلاق يا رب العالمين. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم كما حسّنت خَلْقنا حسّن خُلُقنا يا رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

## للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/حقوق-الطريق-عنوان-الأمة/

## تابع الحسابات الرسمية للشيخ

**فيسبوك**
MohammedSayedHaj

**يوتيوب**
@msayedhaj

**تيليجرام**
@msahaj

**قناة واتساب**
قناة الشيخ

**إكس**
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com